

الفصل الأول



obeikandi.com

من خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

(١) خطبة للصديق بعد البيعة

فقد ورد أنه رضي الله عنه لما ولى الخلافة قام خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال :

« أَمَا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ .. فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَقَوْمُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أَرْجِعَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخِذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَا يَدْعُ قَوْمَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا خَذَلَهُمُ اللَّهُ بِالذَّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا أَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ .. »

ذكره الحافظ ابن كثير في البداية بسند صحيح. وابن الأثير في الكامل. وكذا أبو بكر الباقلاني في إعجاز القرآن. بلفظ : قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

« أَمَا بَعْدُ .. فَإِنِّي وُلِّيتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ. وَلَكِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَّمَنَا فَعَلِمْنَا. وَعَلَّمُوا أَنْ »

أَكَيْسَ الْكَيْسِ الثَّقَى، وَأَنْ أَحْمَقَ الْحَمَقِ الْفُجُورُ (١)، وَأَنْ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي
الضَّعِيفُ حَتَّى آخِذٌ مِنْهُ الْحَقُّ، وَأَنْ أضعَفَكُم عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخِذٌ لَهُ
بِحَقِّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ .. إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي،
وإِنْ زَغْتُمْ (٢) فَقَوْمُونِي،.



(٢) خطبة للصاديق يوم غدا البيعة

وخطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ثاني يوم البيعة، فحمد الله، وأثنى
عليه، ثم قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ .. إِنَّمَا أَنَا مِثْلَكُمْ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لِعَلَّكُمْ سَتَكْتَلِفُونِي
مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُطِيقُ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ
وَعَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ
فَتَابِعُونِي، وَإِنْ زَغْتُمْ فَقَوْمُونِي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبِضَ وَلَيْسَ أَحَدٌ
مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ (٣) ضَرْبَةَ سَوْطٍ فَمَا دُونَهَا، أَلَا وَإِنَّكُمْ
تَغْدُونَ وَتَرَوْحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غَيْبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا

(١) الحمق - بضم فسكون وضممتين :- قلة العقل. والكيس - بفتح فسكون :- ضد الحمق.

(٢) زغت - بكسر فسكون :- أى : ملت.

(٣) المظلمة - بكسر اللام :- ما أخذه الظالم. وفتحها: مصدر ظلم.

يَمْضَى هَذَا الْأَجْلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَسَابِقُوا فِي مَهْلِ آجَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلَّمَكُمْ آجَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ قَوْمًا نَسُوا آجَالَهُمْ وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ، فَبِأَيِّكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ، الْجَدُّ الْجَدُّ، وَالنَّجَاءُ النَّجَاءُ، وَالْوَحَا الْوَحَا (١)، فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا، أَجَلًا مَرُّهُ سَرِيعٌ. احْذَرُوا الْمَوْتَ وَاعْتَبِرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانَ وَلَا تَغْبِطُوا الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا تَغْبِطُونَ (٢) بِهِ الْأَمْوَاتُ . .

[ذكره ابن كثير في البداية. والطبري في تاريخه (٢ / ٤٦٠)]



(٣) خطبة للصدِّيق في الإخلاص والاعتبار

وخطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه أيضاً، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :
 ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهَهُ، فَأُرِيدُوا اللَّهَ
 بِأَعْمَالِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَخْلَصْتُمْ لِهَيْبَةِ اللَّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَطَاعَةٌ أُتِيْتُمْوهَا،
 وَحِطٌّ ظَفَرْتُمْ بِهِ ، وَضَرَانِبُ أُدِيْتُمْوهَا، وَسَلَفٌ قَدِمْتُمْوهَا مِنْ أَيَّامِ فَانِيَةٍ
 لِأُخْرَى بَاقِيَةٍ، لِحِينِ فُقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ ، اعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ بِمَنْ مَاتَ

(١) النجاء والوحا : الإسراع.

(٢) الغبطة: تمنى مثل ما للغير من غير أن يريد زوال نعمته عنه.

منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميماً، قد تركت عليهم القالات (١) الخبيثات، وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟.. قد بعدوا ونسى ذكرهم، وصاروا كلاً شياً. ألا وإن الله - عز وجل - قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دار غيرهم. وبقينا خلفاً بعدهم. فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم. أين الوضوء الحسن (٢) وجوههم، المعجبون بشبابهم صاروا تراباً، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم. أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوانط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟.. قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور:

﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ (٣)

أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم؟.. قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه، وأقاموا للشقوة أو للسعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب

(١) القالات: جمع قالة، وهي القيل والقال تكون في الشر، والقول في الخير.

(٢) الوضوء: جمع وضوء، وهو الحسن والنظيف.

(٣) الركز - بكسر فسكون - : الصوت الخفى - والآية من سورة مريم: ٩٨.

يعطيه به خيراً، ويصرفُ به عنه سوءاً إلا بطاعتهِ واتِّباعِ أمره،
واعلموا أنكم عبيدٌ مدينون، وأنَّ ما عنده لا يُدرك إلا بطاعته، أما أن
لأحدكم أن تحسّرَ عنه النَّارَ (١) ولا تُبعدَ عنه الجنَّةَ ..

[ذكره الحافظ ابن كثير في البداية . والطبرى فى تاريخه (٣١١/٢)
وشرح ابن أبى الحديد (٤/١٦٧)].

☞

(٤) خطبة للصدىق فى التقوى والامتنال

وعن موسى بن عتبة، أن أبا بكر رضي الله عنه خطب، فقال :

« الحمد لله رب العالمين، أحمده وأستعينه، وأسأله الكرامة فيما بعد
الموت. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده
ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، وسراجاً منيراً ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ
حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ،
وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مَبِينًا.

أوصيكم بتقوى الله، والاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم وهداكم به،

(١) أى: تبعه، يقال: حسر الماء من باب قعد.

(٢) سورة يس: ٧٠.

فإنه جوامع هدى للإسلام بعد كلمة الإخلاص، السمع والطاعة لمن ولاة الله أمركم، فإنه من يطع والى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق، وإياكم واتباع الهوى، فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب، وإياكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب؟ .. ثم إلى التراب يعود، ثم يأكله الدود، ثم هو اليوم حياً وغداً ميتاً، فاعملوا يوماً بيوم، وساعة بساعة، وتوقفوا دعاء المظلوم. وعدوا أنفسكم في الموتى، واصبروا فإن العمل كله بالصبر، واحذروا فالحذر ينفع، واعملوا فالعمل يقبل، واحذروا ما حذركم الله من عذابه، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وأفهموا تفهموا، واتقوا تقوا، وإن الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم، وما نجا به من نجا قبلكم، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه، وما يحب من الأعمال وما يكره، واعلموا أنكم ما أخلصتم الله من أعمالكم فربكم أظعنم، وحظكم حفظتم وابتطتم، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا بسلفكم، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها، ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه، وأحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت. إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره، فإنه لا خير في خير بعده النار، ولا شر في شر بعده الجنة. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي

وَلَكُمْ . وَصَلُّوا عَلَى نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ .. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
وَبَرَكَاتُهُ . .

[أخرجه ابن أبي الدنيا، وابن عساكر]

﴿﴾

(٥) خطبة جامعة للصديق رضي الله عنه

وخطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٣ هجرية، فقال :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ . وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ،
وَأَسْتَهْدِي اللَّهَ بِالْهُدَى ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى ، وَمِنَ الشُّكِّ
وَالْعَمَى .. ﴿ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَايًّا
مُرْشِدًا ﴾ (١) وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يُعْزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ
بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،
أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ - لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ
- إِلَى النَّاسِ كَافَّةً رَحْمَةً لَهُمْ وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ ، وَالنَّاسُ حِينُنْذٍ عَلَى شَرِّ
حَالٍ فِي ظُلُمَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ ، دِينُهُمْ بِدْعَةٌ ، وَدَعْوَتُهُمْ فِرْيَةٌ (٢) ، فَأَعَزَّ اللَّهُ

(٢) أى : الاختلاق .

(١) سورة الكهف : ١٧

الدِّينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
 إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (١) كَذَلِكَ يَبَيِّنُ
 اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ (٢)، فَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّهُ قَالَ -
 عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٣).

أَمَا بَعْدُ .. أَيُّهَا النَّاسُ .. إِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ
 وَعَلَى كُلِّ حَالٍ وَلِزُومِ الْحَقِّ فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيمَا دُونَ
 الصِّدْقِ مِنَ الْحَدِيثِ خَيْرٍ، وَمَنْ يَكْذِبُ يَفْجُرْ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكُ، وَإِيَّاكُمْ
 وَالْفَخْرَ، وَمَا فَخَرُ مِنْ خَلْقٍ مِنَ التَّرَابِ وَالِى التَّرَابِ يَعُودُ؟ .. هُوَ الْيَوْمَ
 حَىَّ وَغَدًا مَيِّتٌ، فَاعْمَلُوا وَعَدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتَى، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ
 فَرُدُّوا عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ مُحَضَّرًا، فَإِنَّهُ قَالَ -
 عَزَّ وَجَلَّ -: :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ
 سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ
 بِالْعِبَادِ ﴾ (٤).

(١) الشفا: الحافة والطرف، أى: كنتم على طرف حفرة من النار، فأنقذكم الله منها بالإيمان.
 (٢) سورة آل عمران: ١٠٣ . (٣) سورة النساء: ٨٠ . (٤) سورة آل عمران: ٣٠.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وِرَاقِبُوهُ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ، وَالْجَزَاءُ بِأَعْمَالِكُمْ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، فَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ، وَالْمُسْتَعَانُ بِاللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَزَكَّنَّا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَالْحَقْنَا بِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَأُورِدْنَا حَوْضَهُ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ.

[ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢ / ١٣١)]



(٦) خطبة للصديق في التقوى

والحث على صالح العمل

وخطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله. وأثنى عليه. ثم قال :
- أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ تُتْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَأَنْ تَخْلَطُوا

(١) سورة الأحزاب : ٥٦.

الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف (١) بالمسألة، فإن الله أنشئ على زكرياً وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٢).

ثُمَّ اعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ اللَّهَ قَدْ ارْتَهَنَ بَحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِفَكُمْ، وَعَوَّضَكُمْ بِالْقَلِيلِ الْفَانِي الْكَثِيرَ الْبَاقِي. وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا يَطْفَأُ نُورُهُ، فَتَقُوا بِقَوْلِهِ وَانْتَصِحُوا كِتَابَهُ (٣) وَاسْتَبْصِرُوا فِيهِ لِيَوْمِ الظُّلْمَةِ، فَإِنَّهُ خَلَقَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَوَكَّلَ بِكُمْ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ، ثُمَّ اعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّكُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ... إلى آخر ما تقدم في الخطبة الثانية.

[ذكره في العقد الفريد (١٣١/٢)، وعيون الأخبار (٢/٢٣٢)]



(٧) خطبة للصديق في الحث

على العمل والإخلاص

وقال نعيم بن نمحة: خطب أبو بكر رضي الله عنه فكان من قوله:

(١) الإلحاف: الإلحاح في الطلب.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٠.

(٣) أي: اقبلوا نصيحته. يقال: انتصح فلان إذا قبل النصيحة.

أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تَعْدُونَ وَتَرُوحُونَ لِأَجْلِ مَعْلُومٍ، فَمِنْ اسْتِطَاعَ أَنْ يَقْضَى الْأَجَلَ وَهُوَ فِي عَمَلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فليُفْعَلْ، وَلَنْ تَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى، إِنْ قَوْمًا جَعَلُوا آجَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ فَهَآكُمُ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (١) أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ؟ قَدِمُوا عَلَيَّ مَا قَدِمُوا فِي سَالِفِ أَيَامِهِمْ، وَخَلُّوا بِالشَّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِالْحَوَانِطِ؟ (٢) قَدْ صَارُوا تَحْتَ الصُّخُورِ وَالْآبَارِ. هَذَا كِتَابُ اللَّهِ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، فَاسْتَضِينُوا مِنْهُ لِيَوْمِ ظَلَمَةٍ، وَاسْتَضِينُوا بِسُنَانِهِ وَبَيَانِهِ. إِنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَيَّ زَكْرِيَّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ، فَقَالَ : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٣) لَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، وَلَا خَيْرَ فِي مَالٍ لَا يُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ يَغْلِبُ جَهْلَهُ حِلْمَهُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِمًا .

[أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : وَنَعِيمُ بْنُ نَمْحَةَ لَمْ أَجِدْ مِنْ تَرْجَمِهِ.]



(١) سورة الحشر : ١٩ .

(٢) جمع حائط وهو البستان . وحائط البنيان جمعه : حيطان .

(٣) سورة الأنبياء : ٩٠ .

ومن خطبه رضي الله عنه التي كإى يحث الناس
فيها على الجهاد في سبيل الله:

(٨) خطبته في ندب الناس لفتح الشام

وخطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه يندب الناس لفتح الشام، فحمد الله،
وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال :

« أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَامِعَ، فَمَنْ بَلَغَهَا فَهِيَ حَسْبُهُ، وَمَنْ عَمِلَ لَهِ كِفَاةً
اللَّهُ، عَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْقَصْدِ، فَإِنَّ الْقَصْدَ أَبْلَغُ، أَلَا إِنَّهُ لَا دِينَ لِأَحَدٍ لَا
إِيمَانَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ، وَلَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، أَلَا وَإِنَّ
فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ
أَنْ يُحِبَّ أَنْ يُخَصَّ بِهِ، هِيَ التَّجَارَةُ الَّتِي دُلَّ عَلَيْهَا، وَنُجِّيَ بِهَا مِنَ
الْخِزْيِ، وَأُلْحِقَ بِهَا الْكِرَامَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .»

[تاريخ الطبرى (٤ / ٣٠)]

وحدّث أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصرى، صاحب
«فتوح الشام»، قال :

لما أراد أبو بكر - رحمة الله عليه - أن يجهز الجنود إلى الشام، دعا
عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن

أبى وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، فقال :

(٩) خطبة أبى بكر رضي الله عنه

، إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَا تَحْصَى نِعْمَهُ، وَلَا تَبْلُغُ جَزَاءَهَا
الْأَعْمَالُ، فَلَهُ الْحَمْدُ كَثِيراً عَلَى مَا اصْطَنَعَ عِنْدَكُمْ، فَقَدْ جَمَعَ كَلِمَتَكُمْ،
وَأَصْلَحَ ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَهَدَاكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَنَفَى عَنْكُمْ الشَّيْطَانَ، فَلَيْسَ
يَطْمَعُ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَلَا أَنْ تَتَّخِذُوا إِلَهاً غَيْرَهُ، فَالْعَرَبُ الْيَوْمَ بَنُو أُمِّ
وَأَبِي، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَفْرَهُمْ إِلَى جِهَادِ الرُّومِ بِالشَّامِ؛ لِيُؤَيِّدَ اللَّهُ
الْمُسْلِمِينَ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ كَلِمَتَهُ الْعَلِيًّا، مَعَ أَنْ لِّلْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْحِظِّ
الْأَوْفَرَ. فَمَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ هَلَكَ شَهِيداً، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ، وَمَنْ
عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ مُدَافِعاً عَنِ الدِّينِ، مُسْتَوْجِباً عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -
ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ. هَذَا رَأْيِي الَّذِي رَأَيْتُ فَلَئِشْرَ عَلَى أَمْرٍ بِمَبْلَغِ رَأْيِهِ . .

خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحمد الله، وأثنى عليه. وصلى على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال :

« الحمد لله الذي يخصص بالخير من يشاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي الذي ذكرت، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن، فقد أصبت، أصاب الله بك سبيل الرشاد، سرب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابتعث الرجال تتبعها الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله - عز وجل - ناصر دينه، ومُعز الإسلام وأهله، ومنجز ما وعد رسوله . . »

[فتوح الشام ص ١، وتاريخ ابن عساکر (١/١٢٦، ١٢٧)]

خطبة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام، فقال :

« يا خليفة رسول الله .. إنها الروم وبنو الأصفر، حدّ حديد، وركن شديد، والله ما أرى أن تُقحم الخيل عليهم إقحاماً، ولكن تبعث الخيل، فتغير في أداني أرضهم، ثم تبعثها فتغير، ثم ترجع إليك، ثم تبعثها فتغير، ثم ترجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مراراً أضروا بحدودهم، وغنموا من أداني أرضهم فقوموا بذلك على قتالهم، ثم تبعث إلى أقاصي أهل اليمن، وإلى أقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم إليك جميعاً، فإن شئت عند

ذَلِكَ غَزَوْتَهُمْ بِنَفْسِكَ، وَإِنْ شِئْتَ بَعَثَ عَلَيَّ غَزْوَهُمْ غَيْرَكَ . .

ثم جلس وسكت، وسكت الناس.

قال لهم أبو بكر : ما ترون.. رحمكم الله ؟.

خطبة عثمان بن عفان رضي الله عنه

فقام عثمان بن عفان - رضوان الله عليه - فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال :

« رَأَيْتُ أَنَّكَ نَاصِحٌ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ، عَلَيْهِمْ شَفِيقٌ. فَإِذَا رَأَيْتَ رَأْيَا
عَلِمْتَهُ لَهُمْ رَشْدًا وَصَلَاحًا وَخَيْرًا، فَاعْزِمْ عَلَيَّ إِمْضَانَهُ، وَإِنَّكَ غَيْرُ ظَنِينٍ
وَلَا مُتَّهَمٍ عَلَيْهِمْ. »

فقال طلحة، والزبير، وسعد، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد،
وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار :

« صَدَقَ عُثْمَانُ فِيمَا قَالَ، مَا رَأَيْتَ مِنْ رَأْيٍ فَاْمُضٍ، فَإِنَّا سَامِعُونَ
لَكَ مَطِيعُونَ، لَا نُخَالِفُ أَمْرَكَ، وَلَا نَتَّخِذُ عَنْ
دَعْوَتِكَ وَإِجَابَتِكَ. »

فذكروا هذا وشبهه، وعلى بن أبي طالب - رحمة الله عليه - في

القوم لا يتكلم، فقال له أبو بكر: ما ترى يا أبا الحسن ؟

قال: « أرى أنك مبارك الأمر، ميمون النقيبة ، وأنت إن سرّتهم إليهم
بنفسك أو بعثت إليهم نصرت إن شاء الله . »

فقال له أبو بكر:

« بشرك الله بخير، فمن أين علمت هذا ؟ »

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه ، حتّى يقوم الدينُ

وأهله ظاهرين . »

فقال أبو بكر:

« سبحان الله !.. ما أحسنَ هذا الحديث .. لقد سررتني سرّك الله

في الدنيا والآخرة . »

(١٠) خطبة أبي بكر رضي الله عنه

ثم إن أبا بكر - رحمة الله عليه، ورضوانه - قام في الناس ، فحمد

الله، وأثنى عليه، وذكره بما هو أهله، وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال:

« أيها الناس .. إن الله قد أنعمَ عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهادِ،

وفضلكم بهذا الدينِ على أهلِ كلِّ دينٍ . فتجهّزوا - عبادَ الله - إلى غزوِ

الرومِ بالشّامِ ، فإنّي مؤمّرٌ عليكم أمراءَ وعاقِدٌ لهم ألويةً، فأطيعوا

رَبِّكُمْ ، وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرًاكُمْ ، وَلْتَحْسُنْ نِيَّتُكُمْ وَسِيرَتُكُمْ وَطَعْمَتُكُمْ ، فَإِنَّ
اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ .

فسكت الناس، فوالله ما أجابته أحدٌ هيبَةً لغزو الروم لما يعلمون من
كثرة عددهم وشدة شوكتهم . فقام عمر بن الخطاب رحمة الله عليه
ورضوانه ، فقال: يا معشر المسلمين .. ما لكم لا تحييون خليفة رسول
الله ﷺ إذا دعاكم لما يحييكم؟! .

خطبة خالد بن سعيد بن العاص

فقام خالد بن سعيد بن العاص . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على
النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ثم قال:

« الحمد لله الذي لا إله إلا هو، الذي بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فإن الله منجز وعده،
ومعز دينه، ومهلك عدوه .»

ثم أقبل على أبي بكر، فقال:

« نحن غير مخالفين لك ، ولا متخلفين عنك ، وأنت الوالى الناصح
الشفيق ، ننفر إذا استنفرتنا ، ونطيعك إذا أمرتنا ، ونجيبك إذا دعوتنا .»

ففرح أبو بكر بمقالته ، وقال له :

« جزاك الله من أخ وخليلٍ خيراً، فقد أسلمت مرتغباً، وهاجرت محتسباً ، وهربت بدينك من الكفار لى يطاع الله ورسوله ، وتكون كلمة الله هي العليا، فتيسر - رحمك الله . »

فتجهز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز ، وخرج هو وإخوته وغلманه ومن تبعه من أهل بيته ، فكان أول من عسكر، وأمر أبو بكر بلائاً فنادى فى الناس: أن انفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام.. فنفروا إليه.



ووصيته لخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر رضي الله عنه :

« إنك قد أوصيتنى برشدى وقد وعيتهُ ، وأنا موصيك فاستمع وصيتى وعها ، إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة فى الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ، ومستمعون منك ، وقد خرجت فى هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله ، فتبّت العالم ، وعلم الجاهل ، وعاتب السفية المترف ، وانصح لعامة المسلمين ، واخصص الوالى على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق لله وللمسلمين عليك ، واعمل لله كأنك تراه ، واعدد نفسك فى الموتى ، واعلم أنا عما قليل ميتون ثم مبعوثون

ثم مُسَاءَلُونَ وَمُحَاسَبُونَ ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَايَاكَ لِأَنْعَمِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ ،
وَلِنِقَمِهِ مِنَ الْخَائِفِينَ ، ثُمَّ أَخَذَ يَدَهُ فَوَدَّعَهُ . .

وجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعَةَ جِيُوشٍ عَلَى أَحَدِهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَوَجَّهَهُ
إِلَى فِلَسْطِينَ ، وَعَلَى الثَّانِي شَرْحِبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَوَجَّهَهُ إِلَى الْأُرْدُنِّ ، وَعَلَى
الثَّالِثِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ وَوَجَّهَهُ إِلَى الْبَلْقَاءِ ، وَعَلَى الرَّابِعِ أَبُو عَبِيدَةَ
عَامِرُ بْنُ الْجِرَاحِ وَوَجَّهَهُ إِلَى حِمِصَ ، وَشَيَّعَ الْأَمْرَاءَ وَوَصَّاهُمْ .

[فتوح الشام (ص ١٨)]



(١١) خطبة للصديق

في التذكير بالآخرة وما فيها من شدة الحساب

أَخْرَجَ ابْنُ زَنْجَوِيهِ فِي كِتَابِ «الْأَمْوَالِ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ ، قَالَ:
بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَعَدَ الْمَنْبَرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ :

«إِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَضَيِّعَ أُمُورَكُمْ وَنَحْنُ بِحَضْرَتِهَا لِأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ
هَذَا الْأَمْرُ فِي عُنُقِ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ خَيْرًا لَهُ . أَلَا إِنَّ أَشَقَى
النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمَلُوكُ ، فَاشْرَأَبْ(١) وَرَفَعُوا إِلَيْهِ رُءُوسَهُمْ ،

(١) أي: رفع رأسه لينظر.

فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكُمْ (١) ، إِنكُمْ عَجَلُونَ ، إِنَّهُ لَنْ يَمْلِكَ مَلِكٌ قَطُّ إِلَّا عَلِمَ
 اللَّهُ مُلْكَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَهُ ، فَيَنْقُصُ نِصْفَ عَمْرِهِ وَيُوكَلُ بِهِ الرُّوعَ
 وَالْحَزْنَ ، وَيَزْهَدُهُ فِيمَا بِيَدِهِ ، وَيَرْغَبُهُ فِيمَا بِأَيْدِي النَّاسِ ، فَتَضَنُّكَ (٢)
 مَعِيشَتَهُ وَإِنْ أَكَلَ طَعَاماً طَيِّباً وَلَبَسَ جَيِّداً حَتَّى إِذَا أَضْحَى ظَلَّهُ وَذَهَبَتْ
 نَفْسُهُ وَوَرَدَ إِلَى رَبِّهِ فَحَاسِبِهِ فَشَدَّ حِسَابَهُ وَقَلَّ غُفْرَانُهُ لَهُ ، أَلَا إِنَّ
 الْمَسَاكِينَ هُمُ الْمَغْفُورُونَ .. أَلَا إِنَّ الْمَسَاكِينَ هُمُ الْمَغْفُورُونَ .. أَلَا إِنَّ
 الْمَسَاكِينَ هُمُ الْمَغْفُورُونَ .

[كذا في الكنز (٣/ ١٦٢)]



(١٢) خطبة للصديق في التذكير بالوقوف بين يدي

الله تعالى في يوم القيامة.. من أجل الحساب

وأخرج أبو الشيخ ، عن يزيد بن هارون ، قال : خطب أبو بكر الصديق
رضي الله عنه ، فقال في خطبته :

« يُؤْتَى بَعْدِي قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَبَسَطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ قَدْ أَصَحَّ بَدَنُهُ
 وَقَدْ كَفَرَ نِعْمَةَ رَبِّهِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيُقَالُ لَهُ : مَاذَا
 عَمِلْتَ لِيَوْمِكَ هَذَا وَمَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ؟ فَلَإِنَّ يَجِدُهُ قَدْ خَيْرًا فَيُبْكِي حَتَّى

(٢) أي : تضيق .

(١) الرِّسْلُ - بالكسر - : الهينة والتأني .

تتفدّ الدموع ، ثم يُعِيرُ فَيُخْزِي بِمَا ضَيَّعَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَيَبْكِي الدَّم ، ثُمَّ يُعِيرُ وَيُخْزِي حَتَّى يَأْكُلَ بِيَدِهِ إِلَى مَرْفَقَيْهِ ، ثُمَّ يُعِيرُ فَيُخْزِي بِمَا ضَيَّعَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَيَنْتَحِبُ (١) حَتَّى تَسْقُطَ حَدَقَتَاهُ عَلَى وَجْهِهِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَرَسَخٌ فِي فَرَسَخٍ . ثُمَّ يُعِيرُ وَيُخْزِي حَتَّى يَقُولَ : يَا رَبُّ ابْعَثْنِي إِلَى النَّارِ وَارْحَمْنِي مِنْ مَقَامِي هَذَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ :

﴿ .. أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) .

[كذا في الكنز (١/٢٤٦)]



(١٣) خطبة للصديق في الموعدة والاعتبار

وأخرج ابن أبي الدنيا ، والدينوري ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خطب الناس ، فقال :
«الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَنْ أَتَقَيَّتُمْ وَأُحْصِنْتُمْ لِيَوْشَكُنَّ أَنْ لَا يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ إِلَّا يَسِيرٌ حَتَّى تَشْبَعُوا مِنَ الْخَبْزِ وَالسَّمَنِ .»

[كذا في الكنز (٨/٢٠٦)]



(٢) سورة النوبة : ٦٣ .

(١) أى : يبكي شديداً رافعاً صوته .

(١٤) خطبة للصديق

فى الاستحياء من الله تعالى

وأخرج أبو نعيم فى «الحلية» (١ / ٣٤) عن عروة بن الزبير، عن أبيه، أن أبا بكر رضي الله عنه خطب الناس فقال :

«يا معشرَ المسلمين .. اسْتَحْيُوا من الله عَزَّ وَجَلَّ، فوالذى نَفْسِي بيده، إِنِّي لأَظَلُّ حينَ أَذهبُ إلى الغائطِ، فى الفِضاءِ، مُتَقَنِّعاً بثوبِي؛ اسْتَحْيَاءً من رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» .



(١٥) خطبة للصديق فى سؤال الله تعالى

العفو والعافية فى الدنيا والآخرة

وأخرج الترمذى، وحسنه، والنسائى، عن أبى بكر رضي الله عنه أنه قام على المنبر، ثم بكى، فقال :

«سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بعدَ اليقينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ» .

[كذا فى الترغيب (٥ / ٢٣٣)]



(١٦) خطبة للصديق في الترغيب

في الصدق والتحذير من الكذب

وعند أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن أوس، قال : خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال :

« قام فينا رسولُ الله ﷺ مقامى هذا عامَ الأول، فقال :
« سلوا اللهَ المعافاةَ (أو قال : العافية) فإنه لم يُعْطَ أحدٌ قطْ - بعدَ
اليقين - أفضلَ من العافيةِ (أو المعافاة) وعليكم بالصدقِ فإنه مع
البرِّ، وهما في الجنةِ، وإياكم والكذبَ، فإنه مع الفجورِ وهما في النارِ،
لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ اللهِ
إخواناً؛ كما أمركمُ اللهُ. »

[كذا في الكنز (١ / ٢٩١)]



(١٧) خطبة للصديق

في التعوذ بالله من خشوع النفاق

أخرج الحكيم، والعسكرى، والبيهقي، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه
قال :

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ خُسُوعِ النِّفَاقِ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ .. وَمَا خُسُوعُ النِّفَاقِ ؟ . قَالَ : خُسُوعُ الْبَدَنِ وَنِفَاقُ الْقَلْبِ » .

[كذا في الكنز (٢٢٩ / ٤)]



(١٨) خطبة للصديق في التذكير بصلاة المسافر

أخرج أبو نعيم في «الحلية»، وابن جرير، عن أبي العالية، قال : خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال :

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لِلظَّاعِنِ (١) رَكَعَتَانِ ، وَلِلْمَقِيمِ أَرْبَعٌ ، مَوْلَى مَكَّةَ ، وَمُهَاجِرِي بِالْمَدِينَةِ ، فَإِذَا خَرَجْتَ مَصْعَدًا مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ » .

[كذا في الكنز (٢٣٩ / ٤)]



(٢) أي: المسافر ...

(١٩) خطبة للصديق في التبشير بفتح الشام

وما ينبغي عليهم أن يلاحظوه عند فتحها

وأخرج أحمد في «الزهد»، عن أبي ضمرة، قال : خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

« إِنَّهُ سَيَفْتَحُ لَكُمْ الشَّامَ فَتَأْتُونَ أَرْضًا رَفِيقَةً؛ فَتَشْبَعُونَ فِيهَا مِنَ الْخَبْزِ وَالزَّيْتِ، وَسَتَبْنِي لَكُمْ فِيهَا مَسَاجِدُ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْتُمْ تَأْتُونَهَا تَلْهِيًا، إِنَّمَا بُنِيَتْ لِلذِّكْرِ . . »

[كذا في الكنز (٤/٢٥٩)]



(٢٠) خطبة للصديق

في التذكير ببدء خلق الإنسان

وأخرج ابن أبي شيبة، عن أنس رضي الله عنه، قال : كان أبو بكر رضي الله عنه يخطبنا، فيذكر بدء خلق الإنسان، فيقول :

« خُلِقَ مِنْ مَجْرَى الْبَوْلِ - مَرَّتَيْنِ - فَيَذُكُرُ حَتَّى يَنْقَدِرَ أَحَدُنَا نَفْسَهُ . »

[كذا في الكنز (٨/٢٠٥)]



ومن وصاياه رضي الله عنه لأمرائه جيوشه :

وصيته لأسامة بن زيد رضي الله عنه

فقد أوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسامة بن زيد وجيشه، حين سيره إلى «أبني» (١)، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ .. قَفُوا أَوْصِيكُمْ بَعْشَرَ فَاخْفَظُوهَا عَنِّي : لَا تَخُونُوا، وَلَا تَغْلُوا (٢)، وَلَا تَغْدِرُوا (٣)، وَلَا تُمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً، وَلَا شَيْخاً كَبِيراً، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَقْعُرُوا (٤) نَخْلاً وَلَا تَحْرِقُوهُ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مِثْمَرَةً، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقْرَةً وَلَا بَعِيراً إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ (٥)، وَسَوْفَ تَمْرُونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَعُوا أَنفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَعُوا أَنفُسَهُمْ لَهُ، وَسَوْفَ تَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بَأْنِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ، فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَتَلْقَوْنَ أَقْوَاماً قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رُؤُوسِهِمْ، وَتَرَكَوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفَقُوهُمْ (٦) بِالسَّيْفِ خَفَقًا، ائْدَفِعُوا بِاسْمِ اللَّهِ (٧) .

[تاريخ الطبرى (٣/٢١٣)، والكامل لابن الأثير (٢/١٦٢)]



(١) موضع يقرب مؤتة بمشارق الشام، استشهد فيه والده زيد بن حارثة.

(٢) غل صدره : حقد.

(٣) من الغدر.

(٤) قعر النخلة : قطعها من أصلها فسقطت.

(٥) المأكلة : أى : ما أكل.

(٦) خفقه : ضربه بشيء عريض.

(٧) وأورد «العقد الفريد» هذه الوصية وذكر أنها وصية من أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان - راجع

«العقد الفريد» ج ١ ص ٤٠ .

ووصيته لعمر بن العاص

والوليد بن عقبة رضي الله عنه

فقد شيع أبو بكر الصديق رضي الله عنه عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، مبعثهما على الصدقة، وأوصى كل واحد منهما بوصية، قال فيها :

« اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ ، إِنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ سَبُلَ اللَّهَ ، لَا يَسْعَكَ فِيهِ الْإِدْهَانُ ^(١) وَالتَّفْرِيطُ وَالْغَفْلَةُ عَمَّا فِيهِ قَوْمٌ دِينَكُمْ ، وَعِصْمَةٌ أَمْرِكُمْ ؛ فَلَا تَنْ ، وَلَا تَفْتَرِ . . »

[تاريخ الطبري (٤ / ٢٩)]

﴿﴾

ووصيته لخالد بن الوليد رضي الله عنه

فقد قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

« سِرُّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَإِذَا دَخَلْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَكُنْ بَعِيدًا مِنَ الْحَمَلَةِ ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ ، وَاسْتَظْهَرِ بِالزَّادِ ، وَسِرْ بِالْأَدْلَاءِ ، وَلَا تُقَاتِلْ بِمَجْرُوحٍ ، فَإِنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ مِنْهُ ، وَاحْتَرِسْ مِنَ الْبِيَاتِ ، فَإِنَّ فِي الْعَرَبِ غِرَّةً ، وَأَقْلَلْ مِنَ الْكَلَامِ ، فَإِنَّ مَا لَكَ مَا وَعَى عَنْكَ ، وَأَقْبَلْ

(١) الإدهان : المداينة والغش.

مِنَ النَّاسِ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَكَلِمُهُمْ إِلَى اللَّهِ فِي سَرِيرَتِهِمْ ، وَأَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ
الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَانِعُهُ .

[العقد الفريد (١ / ٤٠)]



ووصيته لعمر بن العاص رضي الله عنه

وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، يمشى إلى جنب راحلة عمرو بن
العاص ، وهو يوصيه ، ويقول:

« يَا عَمْرُو.. اتَّقِ اللَّهَ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ ، وَاسْتَحْبِهِ فَإِنَّهُ يَرَاكَ
وَيَرَى عَمَلَكَ ، وَقَدْ رَأَيْتَ تَقْدِيمِي إِيَّاكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْدَمُ سَابِقَةً مِنْكَ ،
وَمَنْ كَانَ أَعْظَمَ غِنَاءً عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْكَ ، فَكُنْ مِنْ عَمَالِ الْآخِرَةِ ،
وَأَرِدْ بِمَا تَعْمَلُ وَجْهَ اللَّهِ ، وَكُنْ وَالِدًا لِمَنْ مَعَكَ ، وَلَا تَكْشِفَنَّ النَّاسَ عَنْ
أَسْتَارِهِمْ ، وَاكْتَفِ بِعَلَانِيَتِهِمْ ، وَكُنْ مُجَدًّا فِي أَمْرِكَ ، وَاصْذُقِ اللَّقَاءَ إِذَا
لَاقَيْتَ وَلَا تَجِبْنِ ، وَتَقَدَّمْ فِي الْعُلُومِ ، ^(١) وَعَاقِبْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَعَظْتَ
أَصْحَابَكَ فَأَوْجِزْ ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ تَصْلِحْ لَكَ رَعِيَّتَكَ » ... فِي وَصِيَّةٍ طَوِيلَةٍ .

[تاريخ ابن عساكر (١ / ١٢٩)]



(١) هكذا في الأصل، ولعلها «العدو» بمعنى الإقدام والشجاعة عند قتال الأعداء، وتعقب العدو
أيما ذهب، والقضاء عليه؛ حتى يتم النصر.

ووصية أخرى لعمر بن العاص رضي

وأمدَّ أبو بكر الصديق رضي أبا عبيدة بجيش عليه عمرو بن العاص .
فلما أراد الشخوص خرج معه أبو بكر رضي يشيِّعه . ويقول :

« يا عمرو... إنك ذو رأي وتجربة بالأمور وتبصرة بالحرب ، وقد
خرجتَ مع أشرف قومك ، ورجالٍ من صلحاء المسلمين ، وأنت قادمٌ
على إخوانك فلا تألَّهُم نصيحةً ، ولا تدخُرْ عنهم صالح مشورةٍ ؛ فربُّ
رأي لك محمودٌ في الحرب ، مباركٌ في عواقب الأمور ..

فقال له عمرو :

« ما أخلقتني أن أصدق ظنك وأن أقبل رأيك » .

ثم ودَّعه وانصرف .

[فتوح الشام (٤١)]



ووصيته ليزيد بن أبي سفيان رضي

ودعا أبو بكر الصديق رضي يزيد بن أبي سفيان . فعقد له . وأوصاه .

فقال :

« يا يزيد .. إنني أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والإيثار له ،

والخوف منه، وإذا لقيت العدو فأظفركم الله بهم ، فلا تغلّ ولا تمثّل ، ولا تغدر ولا تجبن ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلاً ولا تقعروه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تعقروا بهيمة إلا لمأكلة ، وستمرون بقوم في الصوامع ، يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين قد فحص الشيطان عن أوساط رؤوسهم ، حتى كأن أوساط رؤوسهم أفاحيص (١) القطأ ، فاضربوا ما فحصوا من رؤوسهم بالسيوف ، حتى ينيبوا إلى الإسلام ، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب .

ثم أخذ بيده، فقال:

«إني أستودعك الله، وعليك سلام الله ورحمته» .

ثم ودّعه وقال :

«إنك أول أمرائي ، وقد وليتكَ على رجالٍ من المسلمين أشرفٍ غير أوزاع (٢) في الناس ، فأحسن صحبتهم ، ولتكن لهم كنفاً واخفض لهم جناحك ، وشاورهم في الأمر . أحسن الله لك الصحابة وعلينا الخلافة» .

[فتوح الشام (٨)]



(١) جمع أنحوص وهو ما يجثم فيه القطأ .

(٢) أي: ليسوا بأدنياء، ولا ضعفاء، ولا جفاة .

ووصية أخرى ليزيد بن أبي سفيان

ووصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان أيضاً، حين وجهه لفتح الشام، فقال:

«إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ لِأَبْلُوكَ وَأُجْرَبِكَ وَأُخْرَجِكَ (١) ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مِثْلَ الَّذِي يَرَى مِنْ ظَاهِرِكَ ، وَإِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ تَوَلَّيَا لَهُ ، وَأَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ أَشَدَّهُمْ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِعَمَلِهِ ، وَقَدْ وَلَّيْتُكَ عَمَلَ خَالِدٍ (٢) ، فَإِيَّاكَ وَعِيْبَةٌ (٣) الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا ، وَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ صَحْبَتَهُمْ وَأَبْدَأَهُمْ بِالْخَيْرِ ، وَعِدَّهُمْ إِيَّاهُ ، وَإِذَا وَعِظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ ، فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسَى بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلِحْ لَكَ النَّاسُ ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا ، بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا ، وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمَهُمْ وَأَقْلِلْ لُبَّيْهِمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ وَلَا تُرِيئُهُمْ (٤) فَيَرَوْا خَلَاكَ ، وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ ، وَامْنَعْ مَنْ

(١) خرجه. أي: دربه وعلمه.

(٢) هو خالد بن سعيد بن العاص. وكان أبو بكر سيره إلى الشام أولاً ثم عزله.

(٣) أي: الكبر والنخر.

(٤) من الريث. وهو الإبطاء.

قَبْلِكَ مِنْ مُحَادَثَتِهِمْ، وَكُنْ أَنْتَ الْمَتَوَلَّى لِكَلَامِهِمْ ، وَلَا تَجْعَلْ سِرَّكَ
لِعَلَانِيَتِكَ ، فَيَخْتَلِطُ أَمْرُكَ ، وَإِذَا اسْتَشْرْتَ فَاصْدُقِ الْحَدِيثَ تُصَدِّقِ
الْمَشُورَةَ ، وَلَا تَخْزَنْ عَنِ الْمَشِيرِ خَبْرَكَ ، فَتَوْتِي مِنْ قَبْلِ نَفْسِكَ ، وَاسْمُرْ
بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَأْتِكَ الْأَخْبَارُ، وَتَنْكَشِفُ عِنْدَكَ الْأَسْتَارُ ، وَأَكْثَرُ حَرْسِكَ
وَبَدَدُهُمْ فِي عَسْكَرِكَ ، وَأَكْثَرُ مَفَاجَأَتِهِمْ فِي مَحَارِسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ
بِكَ ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ ، فَأَحْسِنِ أَدَبَهُ وَعَاقِبَهُ فِي غَيْرِ
إِفْرَاطٍ ، وَعَقِبْ (١) بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنْ
الْأُخْرَى ، فَإِنَّهَا أَيْسَرُهُمَا لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ ، وَلَا تَخَفْ مِنْ عَقُوبَةِ
الْمُسْتَحَقِّ ، وَلَا تَلْجُنْ فِيهَا ، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا ، وَلَا تَخْذَلْهَا مَدَقَعًا (٢) ، وَلَا
تَغْفُلْ عَنِ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُمْ ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ ، وَلَا
تَكْشِفِ النَّاسَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ ، وَاكْتَفِ بِعَلَانِيَتِهِمْ ، وَلَا تُجَالِسِ الْعَبَّاثِينَ ،
وَجَالِسُ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ ، وَاصْدُقِ اللَّقَاءَ ، وَلَا تَجِبْنَ فَيَجِبَنَّ
النَّاسُ ، وَاجْتَنِبِ الْغُلُولَ (٣) فَإِنَّهُ يَقْرَبُ الْفَقْرَ ، وَيُدْفَعُ النَّصْرَ ، وَاسْتَجِدُونَ
أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ ، فَدَعَهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ . .

[تاريخ الكامل لابن الأثير (٢/١٩٦)]



(١) عقبه تعقياً : جاء عقبه . (٢) أى : ولا تضعف . (٣) غل غلولاً ، أى : خان .

ووصيته لشرحبيل بن حسنة رضي

ووجه أبو بكر الصديق رضي شرحبيل بن حسنة رضي ، وودَّعه ،
فقال له :

« يا شرحبيل .. ألم تسمع وصيتي ليزيد بن أبي سفيان ؟ . قال :
بلى . قال : فإني أوصيك بمثلها ، وأوصيك بخصالٍ أغفلتُ ذكرهنَّ ليزيد ؛
أوصيك بالصلاة في وقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل ،
وبعيادة المرضى ، وبحضور الجنائز ، وذكر الله كثيراً على كلِّ حال ، .
[فتوح الشام (١)]



ووصيته لأبي عبيد بن الجراح رضي

ولما أراد أبو بكر الصديق رضي أن يعث أبا عبيدة بن الجراح ، دعاه
فودَّعه ، ثم قال له :

« اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به ،
إنك تخرج في أشراف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلحاء المسلمين ،
وفرسان الجاهلية ، كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية ، وهم اليوم
يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة ، أحسن صحة من صحتك ، وليكن

الناسُ عندكَ في الحقِّ سواءَ، واستعنْ باللهِ وكفى باللهِ مُعيناً ، وتوكَّلْ
على اللهِ وكفى باللهِ وكيلاً. اخرجْ منْ غَدٍ إنْ شاءَ اللهُ . .

[فتوح الشام (١٢)]



ووصية أخرى لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

فلما كان من الغد خرج أبو بكر رضي الله عنه يمشى في رجال من المسلمين
حتى أتى أبا عبيدة ، فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع ، ثم قال حين أراد أن
يفارقه:

« يَا أَبَا عُبَيْدَةَ... اْعْمَلْ صَالِحاً ، وَعِشْ مُجَاهِداً ، وَتَوَفَّ شَهِيداً ،
يُعْطِكَ اللهُ كِتَابَكَ بِيَمِينِكَ ، وَلْتَقَرَّ عَيْنُكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَتِكَ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنَ التَّوَّابِينَ الْأَوَّابِينَ الْمُحْبِتِينَ (١) الزَاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ،
الرَّاعِبِينَ فِي الْآخِرَةِ . إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَنَعَ بِكَ خَيْرًا وَسَاقَهُ إِلَيْكَ ، إِذْ جَعَلَكَ
تَسِيرُ فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى عَدُوِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ
بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ ، وَعَبِدْ مَعَهُ غَيْرَهُ . »

[فتوح الشام (١٤)]



(١) أخبت : أى : خضع وتواضع.

ووصيته لهاشم بن عتبة رضي عنه

ولما سار هاشم بن عتبة ودَّعه أبو بكر رضي عنه ، وقال له :

« يا هَاشِمُ ... إِنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَنْتَفِعُ مِنَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ ، وَكُنَّا نَنْتَفِعُ مِنَ الشَّابِّ بِصَبْرِهِ وَبِأَسِهِ وَنَجْدَتِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ جَمَعَ لَكَ تِلْكَ الْخِصَالَ كُلَّهَا ، وَأَنْتَ حَدِيثُ السَّنِّ مُسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ ، فَإِذَا لَقَيْتَ عَدُوَّكَ فَاصْبِرْ وَصَابِرٌ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَخْطُو خُطْوَةً ، وَلَا تَنْفِقُ نَفَقَةً ، وَلَا يُصِيبُكَ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ (١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ بِهِ عَمَلًا صَالِحًا .. إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . »

فقال هاشم :

« إِنَّ يُرِيدُ اللَّهُ بِي خَيْرًا يَجْعَلُنِي كَذَلِكَ ، وَأَنَا أَفْعَلُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ أَوْ أُقْتَلَ أَوْ أُقْتَلَ ثُمَّ أُقْتَلَ (٢) إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

فقال له سعد بن أبي وقاص رضي عنه :

« يَا بَنَ أَخِي .. لَا تَطْعُنْ طَعْنَةً وَلَا تَضْرِبَنَّ ضَرْبَةً إِلَّا وَأَنْتَ تَرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ خَارِجٌ مِنَ الدُّنْيَا رَشِيدًا . وَرَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ »

(١) المخمصه : أى : الجوع . (٢) أقتل : بضم الألف .

قريباً، ولنْ يَصْحَبَكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ إِلَّا قَدَمٌ صَدِقٌ قَدَمْتَهُ ، أَوْ عَمَلٌ
صَالِحٌ أَسْلَفْتَهُ .

فقال:

«أَيُّ عَمٍّ .. لَا تَخَالَنَّ (١) مِنِّي غَيْرَ هَذَا ، إِنِّي إِذْنٌ لِمَنْ الْخَاسِرِينَ ،
إِنْ جَعَلْتُ حُلِيَّ وَارْتِحَالِي وَغَدَوِي وَرَوَاحِي وَسَيْفِي وَطَعْنِي بِرُمْحِي
وَضْرِبِي بِسَيْفِي رِيَاءَ النَّاسِ .

ثم خرج فقدم على أبي عبيدة؛ فتابَّشَرَ - بمقدمه - المسلمون .

[فتوح الشام (٢٨)]



ووصيته لعمرين الخطاب عند موته

« إِنِّي مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بَعْدِي ، وَمُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَمَلًا
بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ ، وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّهُ لَا تُقْبَلُ
نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ ، فَإِنَّمَا ثَقَلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثَقَلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوَضَعُ
فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوَضَعُ فِيهِ

(١) في الأصل : لا تخافن .

إلا الباطل أن يكون خفيفاً. إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت إنى أخاف ألا أكون من هؤلاء، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم، فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً، ولا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقى بيده إلى التهلكة، فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله . .

[البيان والتبيين (٢/٢٢)، والكامل لابن الأثير (٢/٢٠٨) والعقد الفريد (١/٢٩٨)].



دعاء أبى بكر رضي الله عنه

وكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو في كل يوم. غدوةً وعشيّةً. في دبر صلاة الغداة (١)، وبعد العصر، يقول:

«اللهم إننا خلقنا ولم نك شيئاً، ثم بعثت إلينا رسولاً، رحمة منك لنا، وفضلاً منك علينا، فهديتنا وكُنَّا ضلّالاً، وحببت إلينا الإيمان وكُنَّا كُفَّاراً، وكثرتنا وكُنَّا قليلاً، وجمعتنا وكُنَّا أشتاتاً، وقويتنا وكُنَّا ضعافاً،

(١) أى: صلاة الصبح.

ثم فرضت علينا الجهاد، وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، اللهم لأصبحنا أن نطلب رضاك، ونجاهد أعداءك، من عدل بك، وعبد معك إلهاً غيرك، تعاليت عما يقولون علواً كبيراً، اللهم فأنصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين، اللهم افتح لهم فتحاً يسيراً، وانصرهم نصراً عزيزاً، واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً، اللهم شجع جنبهم، وثبت أقدامهم، وزلزل عدوهم، وأدخل الرعب قلوبهم، واستأصل شأفتهم، واقطع دابرهم، وأبد خضراءهم، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم، وكُنْ لنا ولياً، وبنا حفيماً (١)، وأصلح لنا شأننا كله ونياتنا وقضاءنا وتبعاتنا، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، واغفر لنا والمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه بالمؤمنين رؤوف رحيم .

[فتوح الشام (٩)]



وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما

أخرج الطبراني عن الأغر - أغر بنى مالك - قال: لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر رضي الله عنهما، بعث إليه، فدعاه، فأتاه، فقال:

(١) أى: كثير البر والرضا.

«إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَمْرٍ مَتَّعِبٍ لِمَنْ وَوَلِيَهُ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُمَرُ بِطَاعَتِهِ ، وَأَطِعْهُ بِتَقْوَاهُ فَإِنَّ التَّقَى أَمْرٌ مَحْفُوظٌ ثُمَّ إِنَّ الْأَمْرَ مَعْرُوضٌ لَا يَسْتَوْجِبُهُ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِهِ ، فَمَنْ أَمَرَ بِالْحَقِّ وَعَمِلَ بِالْبَاطِلِ ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَعَمِلَ بِالْمَنْكَرِ يُوْشِكُ أَنْ تَنْقَطَعَ أَمْنِيَّتُهُ وَأَنْ يَحْبِطَ عَمَلُهُ ، فَإِنَّ أَنْتَ وَوَلِيَّتَ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ ، فَإِنَّ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَخْفَ (١) يَدِيكَ مِنْ دِمَانِهِمْ ، وَأَنْ تُضْمَرَ بَطْنِكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَأَنْ تَجْفَ لِسَانَكَ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ فَافْعَلْ .. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

قال الهيثمي (١٥٨/٥):

«وَالْأَغْرُ لَمْ يَدْرِكْ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ» - انتهى .

وقال الحافظ المنذرى فى الترغيب (٤ / ١٥):

«ورواته ثقات إلا أن فيه انقطاعاً» - انتهى .

وأخرج ابن عساکر، عن سالم بن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قال:

لما حضر أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموت؛ أوصى:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .. هَذَا عَهْدٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، عِنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ ، خَارِجاً مِنْهَا ، وَأَوَّلِ عَهْدِهِ بِالْآخِرَةِ ، دَاخِلاً فِيهَا ، حَيْثُ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ ، وَيَتَّقَى الْفَاجِرُ وَيَصْدُقُ الْكَاذِبُ .. إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ مِنْ

(١) بوصيه بأن يراعى حقوق المسلمين، وأن يحفظ دماءهم فلا يعاقب أحداً منهم إلا بما يستحقه وفقاً لشرع الله، وأن يحافظ على أموالهم وأعراضهم: كى لا يحمل أوزارهم.

بَعْدِي عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَإِنَّ عَدَلَ فِذَلِكَ ظَنِّي فِيهِ ، وَإِنْ جَارَ وَبَدَّلَ
فَالْخَيْرَ أَرَدْتُ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ :

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (١)

ثم بعث إلى عمر رضي الله عنه ، فدعاه ، فقال :

« يَا عُمَرُ.. أَبْغَضَكَ مَبْغُضٌ ، وَأَحْبَبَكَ مُحِبٌّ ، وَقَدْ مَا يُبْغِضُ الْخَيْرُ وَيُحِبُّ
الشَّرُّ. قَالَ : فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا . قَالَ : لَكِنْ لَهَا بِكَ حَاجَةٌ ، وَقَدْ رَأَيْتَ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبَتَهُ ، وَرَأَيْتَ أَثَرَتَهُ أَنْفُسَنَا عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى إِنْ كُنَّا
لنَهْدِي لِأَهْلِهِ فَضْلًا مَا يَأْتِينَا مِنْهُ ، وَرَأَيْتَنِي وَصَحْبَتِي وَإِنَّمَا اتَّبَعْتُ أَثَرَ
مَنْ كَانَ قَبْلِي ، وَاللَّهِ .. مَا نَمْتُ فَحَلَمْتُ ، وَلَا شَهِدْتُ فَتَوَهَّمْتُ ، وَإِنِّي
لَعَلِّي طَرِيقَ مَا زَعُتُ . تَعْلَمُ يَا عُمَرُ.. أَنَّ لِلَّهِ حَقًّا فِي اللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ
بِالنَّهَارِ ، وَحَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّمَا ثَقَلْتُ مَوَازِينَ مَنْ ثَقَلْتُ
مَوَازِينَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ أَنْ يَثْقَلَ لَا يَكُونُ
فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ أَنْ يَخْفَ لَا يَكُونُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ . إِنْ
أَوَّلَ مَا أَحْذَرُكَ نَفْسُكَ ، وَأَحْذَرُكَ النَّاسَ فَإِنَّهُمْ قَدْ طَمَحَتْ أَبْصَارُهُمْ ،
وَإِنْتَفَخَتْ أَهْوَاؤُهُمْ ، وَإِنَّ لَهُمُ الْخَيْرَةَ عَنْ زَلَّةٍ تَكُونُ ، فَبِأَيِّكَ تَكُونُهُ ،

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

فإنهم لن يزالوا خائفين لكَ فَرَقَيْنِ مِنْكَ مَا خَفَتَ اللهُ وَفَرَّقَتَهُ. وهذه وَصِيَّتِي، وأقرأ عليكَ السَّلَامَ، .

[كذا في الكنز (٣/١٤٦)]

وعند ابن المبارك ، وابن أبي شيبة . وهناد . وابن جرير . وأبى نعيم في «الحلية» ، عن عبد الرحمن بن سابط . وزيد بن زيد بن الحارث . ومجاهد رضي الله عنه ، قالوا: لما حضر أبا بكر الموت دعا عمر رضي الله عنه . وقال له:

«اتَّقِ اللهُ يَا عُمَرُ.. واعلمْ أَنَّ اللهُ عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبلُ نافلةَ حَتَّى تُوَدَّى الفريضة، وإنما ثقلتُ موازينُ مَنْ ثقلتُ موازينه يومَ القيامةِ باتباعهم الحقَّ في دارِ الدنيا وثقله عليهم ، وحقُّ لميزانٍ يوضعُ فيه الحقُّ غداً أَنْ يكونَ ثقيلاً ، وإنما خفتُ موازينُ مَنْ خفتُ موازينه يومَ القيامةِ باتباعهم الباطلَ في الدنيا وخفتِه عليهم ، وحقُّ لميزانٍ يوضعُ فيه الباطلُ غداً أَنْ يكونَ خفيفاً.

وإنَّ اللهُ تعالى ذكرَ أهلَ الجنةِ فذكرهم بأحسنِ أعمالهم ، وتجاوزَ عن سيئِهِ ، فإذا ذكرتهم قلتُ: إنِّي لأخافُ أَنْ لا أُلحقَ بهم ، وإنَّ اللهُ تعالى ذكرَ أهلَ النارِ فذكرهم بأسوأِ أعمالهم ، وردَّ عليهمَ أحسنَهُ ، فإذا ذكرتهم قلتُ: إنِّي أخافُ أَنْ أكونَ مع هؤلاءِ، وذكرَ آيةَ الرحمةِ وآيةَ

العذاب ، فيكون العبدُ راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ،
ولا يقنطُ من رحمته ، ولا يلقى بيديه إلى الهلكة . فإن أنتَ حفظتَ
وصيَّتي ؛ فلا يكُ غائبٌ أحبُّ إليك من الموتِ وهو آتيك ، وإن أنتَ
ضايَّعتَ وصيَّتي ؛ فلا يكُ غائبٌ أبغضُ إليك من الموتِ ، ولستَ
بمُعجِزه .

وبعد أن قضى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على ردة العرب، وعلى الثورة
التي اشتعلت في طول الجزيرة وعرضها، إثر وفاة الرسول صلوات الله عليه ، وبعد
أن فتح العراق وأوشكت جيوشه أن تدخل المدائن، كما فتح الشام،
ومهد لإقامة الإمبراطورية الإسلامية ، كل هذا في سنتين وثلاثة أشهر .

وبعد مجهود كبير بذله الصديق رضي الله عنه - وهو فوق الستين من عمره -
أحسَّ بمرض شديد..

تقول عائشة رضي الله عنها ، وهي بنت الصديق رضي الله عنه :

« كان أول ما بدأ مرضُ أبي بكر ، أنه اغتسلَ في يومٍ باردٍ ، فحمَّ
خمسةَ عشرَ يوماً ، لا يخرجُ إلى الصلاة ، وكان يأمرُ عمرَ بن الخطابِ
أن يُصَلِّيَ بالناسِ » .

وكان أكثر ما شغل به الصديق في مرضه، إشفاقه من مصير المسلمين
بعده ، ومن اختلافهم - كما اختلفوا بعد وفاة الرسول صلوات الله عليه في سقيفة
بنى ساعدة - فألهمه الله أن يستخلف من يقوم بالأمر من بعده ، وأن

يجمع كلمة المسلمين عليه، ثم أخذ يستشير الصحابة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستشار عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وغيرهما، رضى الله عن الجميع .

وتَسَامَعَ الصحابةُ بأنه يريد عمر. فذهب إليه نفرٌ منهم ممن يجدون في عمر غلظةً ، وكان زعيمهم طلحة بن عبيد الله. وقالوا له : « ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا. وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه، فكيف إذا خلا بهم بعد لقائك ربك ؟ . فغضب أبو بكر. وقال لهم :

أقول : اللهم استخلفتُ على أهلك خيرَ أهلك ..

ردعا أبو بكر رضي الله عنه عثمان بن عفان . فكتب له كتاب العهد لعمر وختمه . فخرج عثمان بالكتاب مختوماً على الناس . وقال لهم : أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ قالوا: نعم. وبايعوا ابن الخطاب رضي الله عنه .

وسأل أبو بكر رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها، وهو في مرض الوفاة : « في كم ثوبٍ كُفِنَ رسولُ الله ﷺ ؟ . قالت : في ثلاثة أثوابٍ . فقال : اغسلوا ثوبى هذين وابتاعوا لى ثوباً آخر . قالت : يا أبتِ إنا مؤسرون . قال : أى بُنيةً .. الحى أولى بالجديد من الميت .

وبدأ أبو بكر رضي الله عنه يعالج سكرات الموت. وعائشة ابنته إلى جانبه. فلما رآته كذلك تمثلتُ بيت حاتم :

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا، وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فَنظَرَ الصَّدِيقُ إِلَيْهَا كَالغَضْبَانِ ، ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين،
ولكن :

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (١)

وكان آخر ما تكلم به :

رَبِّ ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٢)

ثم فاضت روحه رضي الله عنه، في يوم الاثنين ٢١ من جمادى الآخرة سنة
١٣ هجرية، وهو في الثالثة والستين من عمره، وقد دُفن إلى جنب النبي
صلى الله عليه وسلم .

ويوم أن مات رضي الله عنه ارتجَّت المدينة لوفاته ، وتولَّى الناس الدهَّشَ ،
وأقبل على رضي الله عنه مسرعاً باكباً حتى وقف بباب قبره ، فقال :

« صَدَّقْتَ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ ، وَوَأَسَيْتَهُ حِينَ بَخَلُوا ،
وَقَمْتَ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا ، وَسَمَّكَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ صَدِيقًا ، فَقَالَ :

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ (٣) يريد محمداً ويريدك.... .

وقالت ابنته عائشة رضي الله عنها :

(١) سورة ق : ١٩ . (٢) سورة يوسف : ١٠١ . (٣) سورة الزمر : ٣٣ .

« نَضَّرَ اللهُ - يَا أَبَتِ - وَجْهَكَ، وَشَكَرَكَ صَالِحَ سَعْيِكَ، فَقَدْ كُنْتَ
لِلدُّنْيَا مُذَلًّا بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا، وَلِلْآخِرَةِ مُعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا... »

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرثيه :

« يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ .. لَقَدْ كَلَّفْتَ الْقَوْمَ بَعْدَكَ تَعْبًا، وَوَلَّيْتَهُمْ نَصَبًا،
فَهِيهَاتَ مَنْ شَقَّ غِبَارَكَ، فَكَيْفَ اللَّحَاقُ بِكَ؟ » .

.. ثم كان «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه - بعد ذلك - خليفة لخليفة

رسول الله صلى الله عليه وسلم .